

سيرة إبراهيم الحاقلاي وأبرز منجزاته (١٦٠٥-١٦٦٤)



نسبه

ولد إبراهيم الحاقلاي أو الحاقليّ في ١٨ شباط ١٦٠٥. يُعرف بالغرب باسمه اللاتينيّ أبراهام إكلنيسيس Abraham Ecchellensis. يعود أصله إلى بلدة حاقل اللبنانية (أو إلى بلدة زوق مصبح بحسب مرجع يعود لطوني مفرّج أشار إليه أنور صابر في كتابه آل الحاقلاي في تاريخ زوق مصبح ولكن دون إسناد قوله بالمراجع^١).

يُعتبَر الحاقلاي أشهر عالم من الشرق المسيحيّ في أوروبا قبل يوسف السمعاني الحصريّ. وقد ذاع صيته في لبنان وفي الغرب أيضًا كإيطاليا وفرنسا^٢. تزوّج مرتين، بحسب ليفي دلّلا فيدا Levi Della Vida، لم ينجب من الزواج الثاني وقد أنجبت له زوجته الأولى كونستانسا (ابنة ميخائيل الباني وشقيقة مرهج ويوحنا - متى الباني) ثلاثة بنين نذكر منهم ديونيزوس Dionysios وجورج - زخيا Georges Innocent وابنة واحدة. وهذان الولدان كانا تلميذين في المدرسة المارونيّة^٣.

كُتبت على قبره العبارات التالية^٤:

"إبراهيم الحاقلاي، أبوه من سلالة مقدّمي الحاقلاي، أمّه من سلالة مقدّمي شيبان التي حكمت جبيل عام ١٥٤٠. لقد عوّض ثروة أجداده الضائعة من جزاء الحرب العثمانية بمواهبه الثقافية الخارقة. ذاع صيته في روما وهو يدرّس مبادئ الآداب. ونشر كتابًا وكان بعد فتياً. قايض الثوب الكهنوتيّ بالزيّ العسكريّ لدى عودته إلى وطنه. ووقف إلى جانب الأمير فخر الدين، زارعًا الخوف في الأمبراطورية العثمانية. ترّبّع بثبات وعزم على عرش المجد، فاستدعا الباباوات والملوك المسيحيّون: لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر؛ وبعد أن ذاع صيته وراجت شهرته في السلاح وفي الآداب، انطفأت سنته الستون، في روما في تمّوز ١٦٦٤".

^١ مفرّج، طوني، بنو المشروقي في أصول وفروع، ص ١٧٣ و ١٩٠، في صابر، أنور، آل الحاقلاي في تاريخ زوق مصبح، بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر، زوق مصبح، بلدية زوق مصبح، ٢٠٠٥، ص ١٣٣.

^٢ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، آل الحاقلاي وآل الباني: تلامذة المدرسة المارونيّة الرومانيّة الحبريّة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٩.

^٣ المرجع السابق ص ٢٣.

^٤ المرجع نفسه.

نشأته

سنة ١٦٢٠، قصد مدينة روما مع مجموعة من التلامذة وقد كان في الخامسة عشرة من عمره، حيث انتسبوا جميعهم إلى مدرسة روما المارونيّة التي أنشئت سنة ١٥٨٤. رافقهم في رحلتهم الخوري إبراهيم من عيتورين^١ والأب يوحنا المعمدان الفرنجيّ. من رفاقه في السفر يذكر الخوري (المطران) الجميل^٢ يعقوب السرعلاي، يوحنا الكفري، عبدالله البيروتي، يوسف الشدراوي والياس الحصري. بعدما أنهى دروسه الفلسفيّة واللاهوتيّة حاصلاً بذلك على شهادة الملقنة، لم يكمل مسيرته الكهنوتيّة بل اكتفى بدرجة الشماسيّة. ولكنّه بالمقابل حاز على دكتوراه في الفلسفة وفي اللاهوت.

بعد وصوله بسنتين إلى المدرسة المارونيّة، عهد إليه مدير المدرسة الأب فابوس برونو^٣ بفحص كتاب الشحيم قبل طبعه سنة ١٦٢٢. كما وطلب منه أمين سرّ مجمع نشر الإيمان فرنسيس إنغولي أن يضع مختصراً للغراماطيق السريانيّ ليصبح سهل المنال للدارسين^٤.

في ٢٥ أيلول ١٦٢٥، وقّع إبراهيم الحاقلاي كشاهد مع المطران سركيس الرزيّ (ابن شقيق البطريرك سركيس الرزيّ الذي توفيّ سنة ١٥٩٧ وهو يحمل اسمه) على نصّ اتفاق بين نصرالله شلق ويوحنا الحصري، مندوب البطريرك يوحنا مخلوف، يتعهد فيه شلق بدفع خمسين دوكا سنويّاً للبطريركيّة المارونيّة^٥. وجاء توقيعه باللغة الإيطاليّة على الشكل الآتي: *Io Abrahamo Ecchellense affermo questo di sopra*^٦

سنة ١٦٢٨، عندما أكمل الحاقلاي دراسته في روما وهو في الثالثة والعشرين من عمره، بادر إلى إعداد الكتب لتسهيل قواعد اللغة السريانيّة على الطلاب الموارنة في روما. وعند عودته إلى لبنان، استهوته الحياة الدبلوماسية. وقد رأى كرادلة مجمع نشر الإيمان أنّه الأوفر أهليّة لإدارة مدرسة حوفا التي تأسست سنة ١٦٢٤ على يد البطريرك يوحنا مخلوف. ولكنّ الحاقلاي الطموح، عوضاً عن إدارة المدرسة، التحق بأمر لبنان فخر الدين المعني الثاني الملقّب بالكبير (١٦٠٥ - ١٦٣٥)، فأصبح وكيله وترجمانه والمدافع عن مصالحه لدى قوزما، دوق توسكانا، وذلك ابتداءً من سنة ١٦٢٨. فراح يتنقل بين ليفورنو وفلورنسا وتونس والجزائر بهدف الإهتمام بمصالح إمارة جبل لبنان وبيع الحرير اللبناني وشراء الأسلحة والذخائر للأمير، وإيداع فائض المال في المصارف الإيطاليّة. فكان خبيراً في المجالين العسكريّ والاقتصاديّ.

^١ هكذا ورد اسمه في كتابي الخوري (المطران) ناصر الجميل: آل الحاقلاي وآل الباني...، ص ٩ و *Les Echanges Culturels entre les Maronites et l'Europe - Du collège Maronite de Rome (1584) au collège de Ain-Warqa (1789)*, Tome 1, Beyrouth, 1984, p. 62

^٢ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، آل الحاقلاي وآل الباني... ص ٩.

^٣ ورد الإسم الكامل للأب فابوس في مرجع يعود لجوزيف أبو نمر في مقالة نُشرت على الإنترنت بعنوان "قراءات تاريخيّة (٢): إبراهيم الحاقلاي رجل المهمّات السياسيّة والأعمال التجاريّة.

^٤ غالب، الخوري بطرس، "نوايع المدرسة المارونيّة في روما: إبراهيم الحاقليّ أو الحاقلاي"، المشرق، عدد ٢٨، سنة ١٩٣٠، ص ١٨٩، في إبراهيم الحاقلاي، في المنويّة الرابعة لولادته ١٦٠٥ - ٢٠٠٥، حلقة دراسيّة، المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة، منشورات جامعة سيّدة اللوزة، زوق مصبح، ٢٠٠٥، ص ١١٢.

^٥ Cf. Dandini, *Voyage du Mont-Liban*, Paris, 1684, dans Gemayel, Pr. (l'évêque) Nasser, *Les Echanges Culturels ...* p. 633.

^٦ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، آل الحاقلاي وآل الباني...، ص ٢٨.

^٧ Gemayel, Pr. (l'évêque) Nasser, *Les Echanges Culturels ...*, p. 225 (note en bas de page n° 31).

ففي ٨ تشرين الثاني ١٦٣١ سافر الحاقلاقي في رحلة هي الأولى إلى توسكانا، وحمله الأمير فخر الدين رسالة إلى غراندوقة توسكانا ماري كريستين دولورين، مصحوبة برسالتين: إحداها للغراندوق فردينان الثاني والأخرى لزوجته مداما كريستينا آفا. هاتان الرسالتان تتضمّنان مهمّة إبراهيم الحاقلاقي في توسكانا. وتقوم هذه المهمّة على بيع كمّيّة من الحرير بأفضل الأسعار وحمل الهدايا وطلب خبير في صبّ المدافع وبعض الإختصاصيين (أطباء، مهندسين...)، كما حمل الحاقلاقي معه كتابًا من فخر الدين إلى الكاردينال مديتشي يشكره فيه على صندوق الكتب الذي تكرّم وأهداه إليه، ويرجوه قبول بالة حرير كلّف الحاقلاقي بتقديمها له.

وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٦٣١، كتب القنصل التوسكاني كتابًا إلى أحد كبار موظفي البلاط في توسكانا يوصيه فيه بمندوب الأمير: "الحاقلاقي خادم الأمير الأمين، وهو مسيحيّ من أتباع الكنيسة الرومانيّة. فإن صادف في توسكانا معاملة حسنة كتب إلى بلاده فطاب الأمير نفسًا" ويتابع "وقد أوصى الأمير الحاقلاقي قبيل سفره، أن يشتري له نحاسًا ويصطحب معه، في عودته، خبيرًا في صبّ المدافع".^١

وفي الثاني من كانون الأول من السنة نفسها، وجّه القنصل دا فراتسانو كتابًا آخر إلى السيّد ديموجو وهو أمين سرّ غراندوقة توسكانا، يوصيه فيه بإبراهيم الحاقلاقي ويطلب مساعدته لنجاح مهمّته.

عاد الحاقلاقي من رحلته إلى لبنان في حزيران ١٦٣٢ (يشير ماريّتي إلى أنّه عاد في نيسان ١٦٣٢^٢ ولكنّ الخوري بولس قرألي يذكر أنّه في ذلك التاريخ كان ما زال في فلورنسا وقد اشترى أسهمًا لفخر الدين في بنك "جبل الرحمة" وذلك في ٢٨ أيار ١٦٣٢ ثمّ عاد إلى صيدا^٣) حاملاً معه الكتب والهدايا من فلورنسا ومن روما إلى فخر الدين. فكان الأمير راضيًا عمّا أنجزه في رحلته الأولى فأرسله ثانية إلى توسكانا وذلك في تشرين الأول ١٦٣٢ حاملاً رسائل إلى الغراندوق فردينان الثاني وجدّته الغراندوقة ماري كريستين دولورين.

وبالرغم من اتّهامه في بيع الحرير، كتب في ٣٠ نيسان ١٦٣٢ رسالة إلى الغراندوقة طالبًا منها أن تقبل بمعموديّة أحد العبيد الأتراك الذي ارتدّ إلى المسيحيّة على يده. فطلب منها أن تكتب إلى سيّد هذا العبد لإعطائه الإذن بذلك^٤.

^١ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا (١٦٠٥ - ١٦٣٥)، روما، منشورات المجلة البيطريكيّة، ١٩٣٨، ص ٣١٧، في أبو نحر، جوزف، إبراهيم الحاقلاقي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٣.

^٢ جيوفاني، ماريّتي، تاريخ فخر الدين أمير الدروز الكبير، ترجمه عن الإيطالية الأب بطرس شلفون، بيروت، الدار اللبنانيّة للنشر الجامعي، ١٩٨٥، ص ١٢٢، في أبو نحر، جوزف، إبراهيم الحاقلاقي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٥ (الحاشية رقم ٢١).

^٣ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا...، ص ٣٣٣، في أبو نحر، جوزف، إبراهيم الحاقلاقي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٥ (الحاشية رقم ٢١).

^٤ Carali, P., "Fakhr Ad-Din II Prince del Libano e la Corte di Toscana 1605 - 1635", Vol. 1, nel La Revue Patriarcale, 9ème année, Avril Décembre 1934, Tipografia del Senato, Roma, 1936, pp. 363 - 414، في شدياق، الأب مارون، إبراهيم الحاقلاقي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٧٢.

في الرحلة الثانية (١٦٣٣)، كما في الأولى، كلّف فخر الدين الحاقلاقي بعقد المعاهدات السياسيّة وبإجراء أعمال تجاريّة. ويقول المؤرّخ جيوفاني ماريتي إنّ الأمير كلّف الحاقلاقي تصريف أعماله في البلاط التوسكانيّ "لكي يدلّل كلّ الصعوبات التي نشأت وتنشأ هناك لأنّه كان من الضروريّ، بنظر البلاط التوسكانيّ، أن يكون الحاقلاقي دائماً رئيس البعثات الديبلوماسية إليه نظراً لتعلّقه الحميم به"^١.

لدى عودته من مهمّته الثانية، كان أن حاصر الأسطول العثمانيّ البواخر المحمّلة بالبضائع التوسكانيّة المرسلّة إلى فخر الدين، فلم تستطع أن ترسو على الشواطئ اللبنانيّة. عندئذ، يخبر الخوري (المطران) الجميل أنّ الحاقلاقي بدأ عمليّات القرصنة ضدّ العثمانيّين ولكنّه أرغم على العودة إلى ليفورنو. في هذا الوقت كان قد ألقي القبض على الأمير فخر الدين وسيق إلى اسطنبول ففُطع رأسه وذلك في ١٣ نيسان ١٦٣٥ وقُضي على سياسته ولوحق أتباعه.

سافر إلى فرنسا عام ١٦٤٠ لإنهاء ما قد بدأه التلميذان جبرائيل الصهيونيّ والإهديّ ويوحنا الحصريّ، ألا وهو طباعة الكتاب المقدّس المتعدّد اللغة (Bible Polyglotte) والذي استغرقت طباعته في باريس سبعة عشر عاماً. فبعد أن نُقل السفير سافاري دي بريف Savary de Brèves إلى السفارة في روما عام ١٦٠٨، أخذ على عاتقه إنشاء مطبعة عربيّة. فعهد إلى الصهيونيّ وشلق ترجمة أوّل مؤلّفين سيصدران عن المطبعة: كتاب التعليم المسيحيّ لبلازمين Catéchisme de Bellarmin، عام ١٦١٣، وكتاب المزامير الذي صدر عام ١٦١٤ بالعربيّة واللاتينيّة. في هذا الوقت، أخبر جان باتيست ريموندي Jean-Baptiste Raimondi دي بريف رغبته في طباعة الكتاب المقدّس المتعدّد اللغة. فهذا المشروع يضيف إلى الكتاب المقدّس الذي طُبِع في مدينة أنفيرس Anvers البلجيكيّة بلغاته الأربع، ثلاث لغات أخرى هي السامريّة والسريانيّة والعربيّة. وعندما استدعته الملكة ماري دي مديسيس Marie de Médicis إلى فرنسا بغية تحقيق مشروعه، قام بنقل مطبعته ومخطوطاته الشريّة إلى باريس. وعندما عدل شلق عن الذهاب إلى فرنسا، استعاض عنه بيوحنا الحصريّ. ولكن، ولأسباب عدّة، صرف سافاري النظر عن هذا المشروع. أمّا الصهيوني فقد عزم على متابعة ما بدأه بعدما عاد الحصريّ إلى لبنان.

عام ١٦٢٩، انتهت طباعة العهد القديم وأصبحت الأناجيل الأربعة جاهزة بعد سنة واحدة من ذلك التاريخ. أمّا الترجمة التي كان الصهيونيّ ضليعاً فيها، فأعاد النظر فيها إبراهيم الحاقلاقيّ خلال إقامته في باريس بين ١٦٤٠ و١٦٤١^٢ (١٦٣٠ و١٦٣١ بحسب مصادر أخرى: الخوري بطرس غالب، Micheau، Bonneau، و Lamy^٣). وقد أنهى الأسفار المتمّمة للكتاب المقدّس المتعدّد اللغة المعروف بالبوليغلوتة الباريسيّة بين سنة ١٦٢٨ و١٦٤٥. عاد الحاقلاقي مجدّداً إلى باريس بين عام ١٦٤٥ و١٦٤٨ وكان عليه أن يبرهن صوابيّة أعماله العلميّة ويدافع عنها. ويُقال إنّ الصهيونيّ والحاقلاقيّ كانا على خلاف في مواضيع علميّة عديدة، حتّى إنّهما لم يعملوا معاً في مشروع مشترك. من بين المواضيع التي اختلفا عليها تفسير سرّ الاعتراف لدى السريان "اليعاقبة" والنقطتان، علامة

^١ جيوفاني، ماريتي، تاريخ فخر الدين أمير الدروز الكبير...، ص ١٨٧، في أبو نحر، جوزف، إبراهيم الحاقلاقي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٦.

^٢ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، إبراهيم الحاقلاقي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ٥١.

^٣ المرجع السابق (الحاشية).

الجمع، في السريانية^١. (راجع وثيقة تعود لعام ١٦٩٧ حول الخلاف بين الحاقلاقي والصهيوني ذكرها الخوري (المطران) الجميل في كتابه *Les Echanges Culturels...*)^٢.

بين ١٦٤٥ و١٦٥٣، كان الحاقلاقي يشغل منصب أستاذ اللغات الشرقية في المعهد الملكي الباريسي. وقد وضع مؤلفات^٣ علمية عديدة إضافة إلى أعمال الترجمة. وقد كان طوال هذه الفترة على اتصال بعلماء جامعات العالم. ولدى عودته الأخيرة إلى روما، عُيّن أستاذاً للغات الشرقية في المعهد الروماني *Gymnasio Romano*، فانصرف للإهتمام بمؤلفاته التي زادته شهرة.

في ٢١ أيار ١٦٦٠، نال امتيازاً خاصاً بتعيينه كاتباً *Scripter* في مكتبة الفاتيكان، فبدأ بإعداد أول فهرس علمي للمخطوطات الشرقية. ويشير الخوري (المطران) الجميل إلى أنّ الحاقلاقي لم يول التأليف بالعربية أي اهتمام، ولكنّه قام بتعريف مؤلفات عديدة، كنيسية وعلمية، إن بنشرها أو بترجمتها، كما وضع مؤلفات خاصة باللغة اللاتينية أسهمت في تعريف الشرق المسيحي. وقد اقتبس من أوروبا المعارف الواسعة ولكنّ أبحاثه كانت تفتقر إلى النقد التاريخي واللغوي^٤.

في شباط ١٦٦٤، أصيب الحاقلاقي بالمرض بعد أن تعرّضت ساقه إلى إصابة "بالغنغرينة". وقد استدعى مرهج ويوحنا - متى الباني، ولدي حميه ميخائيل، وأوصاهما بالإهتمام بعائلته. ويُقال إنّه توفّي فقيراً معدماً وذلك في ١٥ تموز ١٦٦٤. مع العلم أنّه، نظراً لخدماته ولمهامه ومسؤولياته الكبيرة، كان الحاقلاقي يتقاضى راتباً عالياً فضلاً عن علاوات وامتيازات كان قد حصل عليها، ممّا خلق عداوة وحسداً عند الكثيرين من زملائه وإخوته في المدرسة المارونية^٥. ولحمائته وحماية مؤلفاته، كان الحاقلاقي يضع في الصفحات الأولى من المؤلفات عبارة الامتياز الممنوحة له من الملك^٦. فلقد كتب على الصفحات الأولى من كتاب *Synopsis propositorum sapientiae* (1641):

« Le sieur Abraham Ecchellensis, Maronite du Mont Liban, professeur en théologie et philosophie, interprète de N.S.P. le pape et lecteur public en l'Université de Rome en langues arabique et syriaque, venu en France par l'ordre de sa majesté, à cause de la grande Bible qui s'imprime à Paris... »^٧.

^١ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، آل الحاقلاقي وآل الباني...، ص ٢٠.

^٢ Gemayel, Pr. (l'évêque) Nasser, *Les Echanges Culturels...*, pp. 275 – 278.

^٣ راجع في نهاية السيرة خلاصة عن أبرز مؤلفاته، وراجع التفاصيل حول كامل مؤلفاته ضمن فصل مستقل.

^٤ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، إبراهيم الحاقلاقي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ٥٤.

^٥ حاقلاقي، فؤاد زوقي، Ecchellensis et son oeuvre، في إبراهيم الحاقلاقي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ١٤٦.

^٦ المرجع السابق ص ١٤٧.

^٧ المرجع نفسه.

خصاله

تميّز الحاقلاّني بقوّة الشخصية وقد واجهه، وهو في السادسة عشرة من عمره، سلطة المعهد المارونيّ في روما ورافع بنجاح عن الطلاب اللبنانيين الموارنة. ودافع، وهو في سنّه العشرين، عن أصالة التراث المارونيّ وسمعته، فحال دون توزيع أي كتاب يسيء إلى سمعة الموارنة. لذا يُقال عنه إنّه كان متمرّدًا، ومشاعبًا، ومشاكسًا. فقد واجه بعناد بعض مسؤولي المدرسة الذين كانوا يسيئون إلى الموارنة. فكتب:

"... ويا ما قاسيت من الجور والجفا لأجل طايفتي ورفاقي. مرّة شالوني برّة المدرسة (خارجًا) ووقفت برّة عشرة أشهر عدّة أمرار أواخر (أخرى). وأساس الشرّ كان لأجل لأنّ المدبّر (المدير) كتب كتاب وكان مكتوب فيه زرو وبهتان على طايفتي طايفة الموارنة. وكان بدّي بطبعه (ابتداءً) ولمّا عرفت ذلك أعلمت به سيّدنا المطران سركيس ابن الرزّ واتكلمت مع روسا الأيسوعيّة ومع الكاردينال سكراتي المرحوم ومع الشيخ الجليل كاردينال باندينو. وبعد ما طبع منو كتير عطلته. ولأجل ذلك بدّي يضطهدني إلى ما غاية ما يكون...".¹

ويخبر الحاقلاّني أن المدير أنيبالي كانالي كان قد أمر التلامذة الموارنة بتكليس بناء المدرسة يوميًا، فرفض القيام بهذا الأمر لما فيه من إذلال وشكوى أمره إلى الرؤساء اليسوعيّين المشرفين على المدرسة. فنفهّموا الأمر، وعندما عاد إلى المدرسة مرّق أمر التكليس عن لوحة الإعلانات. ومن الأمور التي عارضها أيضًا الامتثال لأمر الوقوف الذي فرضه المدير على كلّ التلامذة عند دخوله قاعة الطعام ولأمر الجلوس من بعده. وقد تمكّن من الحصول على موافقة المسؤولين عن المدرسة لإلغاء هذا الأمر².

تميّز الحاقلاّني أيضًا ببعده النظر والتخطيط والشجاعة والتصميم. كان طموحًا وكانت نشاطاته متعدّدة منها اقتصادية وثقافية وتجارية ودبلوماسية. موضوعي ومنفتح وبعيد عن التعصّب الدينيّ. محبًا للحريّة والاستقلال، ساعيًا في سبيل تحصيل المعرفة والعلم، محافظًا على وفائه للتراث الأمّ. فهّمه الأوّل كان معرفة الحقيقة وإعلانها والدفاع عنها، أكانت طبيعيّة يدركها العقل ويكتشفها بالبحث أم وليدة الإيمان بفعل الوحي. لذا اعتمد منهجًا علميًا دقيقًا يركّز على المنطق والموضوعيّة والعودة إلى الأصول والمراجع والبراهين برصانة. فكان مزاحه يتقلّب بين الهدوء خاصّة في عرض آرائه والدفاع عنها، والنقمة في حال تمّ تشويه الحقيقة إن كان ذلك صادرًا عن سوء نية ورغبة في الإيذاء أو للحطّ من قدر علمه. كان يثق بقدراته وبكفاءته إضافة إلى اعتداده بنفسه³. ويقول جوزف أبو نحرًا في هذا السياق:

"الحاقلاّني غريب الأطوار طريف الأخبار. في مهمّاته السياسيّة: لطيف في المقاربة، لبق في المفاوضة، عصيّ في المواجهة. وفي مهمّاته التجاريّة: قدير في المفاضلة، أمين في المبادلة، عنيد في المنافسة. ملاك وشيطان، ملفان وقرصان. ويبقى، فوق كلّ ذلك، العالم والإنسان ومفخرة لبنان"⁴.

¹ Gemayel, Pr. (l'évêque) Nasser, *Les Echanges Culturels*, p. 387 في أبو نحرًا، جوزف، إبراهيم الحاقلاّني، في المئوية الرابعة لولادته...، ص 111.

² Gemayel, Pr. (l'évêque) Nasser, *Les Echanges Culturels*, p. 63 في أبو نحرًا، جوزف، إبراهيم الحاقلاّني، في المئوية الرابعة لولادته...، المرجع السابق.

³ خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلاّني، في المئوية الرابعة لولادته...، ص 57 - 58.

⁴ أبو نحرًا، جوزف، إبراهيم الحاقلاّني، في المئوية الرابعة لولادته...، ص 127.

أبرز منجزاته

على الصعيد العلمي والثقافي

"امتاز [الحاقلائي] بالآداب، والحكمة، وتفوق في اللغات، ولمع في مجالات العلم، ونشر الكثير في الفلسفة والرياضيات، وكتب الوفير ضدّ المبتدعين...".^١ في هذا السياق، يشير أمين ألبرت الريحاني إلى أنّ الحاقلائي قد وضع عددًا من المؤلفات تشمل اللاهوت، الفلسفة، الجغرافيا، الرياضيات وقواعد اللغة السريانية، فضلًا عن العلوم اللغوية. وقد وضع أيضًا عددًا من المؤلفات دافع من خلالها عن معتقداته اللاهوتية. ترجم، بالإضافة إلى ذلك، الكتب العربية العلمية والفلسفية إلى اللاتينية لتُعمد في الدراسات الجامعية آنذاك، منها مقدمة منطق ابن سينا لابن العبري، وعددًا من مؤلفات عبد الرحمن السيوطي، وبرهان الدين الزرنوجي...^٢ ترجم الحاقلائي أيضًا الكتاب المقدس إلى العبرية، إضافة إلى ترجمته الكثير من الأعمال الفكرية الأوروبية إلى العربية والأعمال الفكرية العربية والسريانية إلى اللاتينية.

يضيف الريحاني إلى أنّ الحاقلائي قد شكّل "رهانًا عقليًا" في البلدان الأوروبية، وخصوصًا في روما وباريس. وقد جعل من العربية والسريانية مادة علم جامعي درّسه في جامعات أوروبا، كما وجعل من المخطوطات الآتية من الشرق "ثروة معرفية" لها علمها ومراجعها وأصولها وبياناتها.^٣

ولم تقتصر اهتمامات الحاقلائي على الآثار المسيحية، بل تعدّها لتصل إلى الآثار الإسلامية. فنسخ وترجم إلى اللاتينية الكثير من الكتب العربية التي شملت الفلسفة وغيرها من الحقول. وقد قام بدراساتها والتعليق عليها.^٤ وأمّا الكتب التي نسخها فتتلخّص كالتالي:

١. الإيساغوجي، المدخل إلى المنطق أو كتاب المنطق: نُقل هذا الكتاب للفيلسوف العربيّ ابن سينا من العربية إلى السريانية على يد المفريان اليعقوبيّ ابن العبري (غريغوريوس ابن العبري). أمّا الحاقلائي فنسخه سنة ١٦٣٣ عن المخطوط الفاتيكانية السريانية الذي ورد في فهرس مخطوطات المكتبة الفاتيكانية، المجلّد الثالث، ص ٤٠٩، وهو محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٤٩ سريانية.^٥

^١ Compendiaria enarratio... ob evolutum proxime annum ab erectione Collegii Centesimum, Romae, 1685, p. 79. "Litterarum, et sapientia bono natus; Linguarum peritia, et eruditione multiplice inclaruit... Philosophica multa, et Mathematica edidit, scripsit etiam in Haereticos plura..."

في خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلائي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ٥٧.

^٢ الريحاني، أمين ألبرت، إبراهيم الحاقلائي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ٢٢.

^٣ المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢.

^٤ مكارم، سامي، إبراهيم الحاقلائي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ٢٤.

^٥ الجميل، الخوري (المطران) ناصر، إبراهيم الحاقلائي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ٣٠.

^٦ سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلائي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ١٣٧.

٢. الإيساغوجي أو مختارات فلسفية من مخطوط الفاتيكان رقم ١٥٨

تعود لبورفير يوس الصوري (من مدينة صور) ولأرسطو. سنة ١٦٣٧، نسخ الحاقلاي منه الأقسام الثلاثة الأخيرة التي كان قد ترجمها إلى السريانية بطريرك البعلبك اليعقوبي الأنطاكي أناسيوس (+٦٨٦) من مدينة بلك سنجار في العراق. هذه النسخة محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٢٤٨ سرياني^١.

٣. المعجم السرياني (نسخ) للطبيب البغدادي أشوع بن علي النسطوري من القرن التاسع. وقد نسخه عن مخطوط في فلورنسا وهذه النسخة محفوظة في مكتبة باريس تحت رقم ٢٥٣ سرياني. وأما تاريخ النسخ فهو مجهول^٢.

٤. العهد القديم (نسخ) وهذه النسخة موجودة في مكتبة باريس تحت الأرقام ٦، ٧ و ٨، سرياني. وتاريخ النسخ أيضاً مجهول^٣.

كما وعالج بنجاح قضية برهان الدين الزرنوجي وقضية الطلاب المسلمين وخاصة الذين كانوا يواجهون عقبات تمنعهم من الالتحاق بالمعاهد الأوروبية سعياً وراء العلم. فدحض تدرعات الأوروبيين الذين كانوا يعتبرون أنّ الشاب المسلم المثقف يساعد في تثبيت الوجود العثماني في السيطرة والتوسع.

أسس لأستاذة جامعية أوروبية تحمل آداب المشرق ولغاته وفلسفته ولاهوته إلى البلدان الناطقة بالفرنسية والإيطالية واللاتينية، فأصبح مرجعاً للعلوم الشرقية ممّا جعله رائداً من رواد النهضة اللبنانية وبالتالي من رواد النهضة الثقافية العربية^٤.

في إيطاليا:

- عُيّن ترجماناً لدى مجمع نشر الإيمان وعضواً في لجنة تصحيح الكتاب المقدس وترجمته إلى اللغة العربية.
- عُهد إليه تدريس اللغتين العربية والسريانية في معهد الحكمة (الساينسا) في روما.
- استدعاه فرديناند الثاني والأمير ليوبولد إلى فلورنسا بهدف تفحص المخطوطات الشرقية الموجودة في قصر بيتي Palazoo Pitti.

- من عام ١٦٣٣ حتى عام ١٦٣٧، أُسند إليه منصب أستاذ اللغات الشرقية.
- قام بأرشفة الكتب العربية والسريانية في مكتبة الفاتيكان اعتقاداً منه أنّ المعرفة لا تحقّق غايتها إلا إذا كانت منظمّة.

في فرنسا:

- قام بالمشاركة مع جبرائيل الصهيوبي الإهدبي ويوحنا الحصري، بطباعة الكتاب المقدس المتعدّد اللغة (Bible Polyglotte) والذي استغرقت طباعته في باريس سبعة عشر عاماً.

^١ المرجع السابق.

^٢ المرجع نفسه ص ١٣٧ - ١٣٨.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٣٨.

^٤ الريحاني، أمين ألبرت، إبراهيم الحاقلاي، في المئوية الرابعة لولادته...، ص ٢١.

- قدّم له الملك الفرنسي كرسيّ التعليم في المعهد الملكي في باريس ممّا جعله يلعب دورًا مهمًّا في الدفاع عن الدين الكاثوليكي، خاصّة أنّ الخصام بين الكاثوليك والبروتستانت كان في أوجه. فكانت مؤلفاته وترجماته^١ أداة مهمّة في الدفاع عن الإيمان الكاثوليكيّ.

على الصعيد الدبلوماسي

كان الحاقلاي يتمتّع باحترام البلاطات الأوروبيّة وقد عرف كيف يكسب تقدير الحكّام في توسكانا وفرنسا وروما وغيرها من البلدان. ويخبر قرألي أنّ بعد إعدام فخر الدين، فكّر فردينان الثاني، غراندوق توسكانا، باحتلال جزيرة قبرص ومدينة صور وقد استند في خطّته على تقريرين، الأول للأب برنردوس دو روسانو والثاني لإبراهيم الحاقلاي الذي يصف فيه الجزيرة وموانئها بدقّة تامّة^٢.

- كان ممثّل الأمير فخر الدين، معزّزًا صلة لبنان بالدول الأوروبيّة كفلورنسا وتوسكانا وفرنسا. وقد وظّف كلّ طاقاته في خدمة الأمير ساعيًا إلى تحرير لبنان من نير العثمانيين. وقد قام برحلتين إلى توسكانا: الأولى سنة ١٦٣١ والثانية سنة ١٦٣٣ وقد أوكلت إليه مهامّ سياسيّة وتجاريّة.
- كان في روما ممثلًا شبه رسميًّا للبطريرك المارونيّ، بل مستشاره اللاهوتيّ والليتورجيّ. ففي عهد البطريرك جرجس السبعلي (١٦٥٧ - ١٦٧٠) سعى إلى تأمين حاجات الكنيسة المارونيّة من الأدوات الطقسيّة ككتب دينيّة وكؤوس وأنواب بيعيّة وأدوات أخرى أرسلها البابا إسكندر السابع إلى البطريرك بواسطة المطران يعقوب الحصريّ العائد من روما إلى جبل لبنان^٣. كما ساعد طلاب المدرسة المارونيّة، نذكر منهم البطريرك إسطفان الدويهي. ويخبر الأب بطرس غالب^٤ أنّه عندما قرب موعد رجوع الدويهي إلى لبنان سنة ١٦٥٥، سعى الحاقلاي إلى تعيينه مرسلًا رسولياً، حتّى إنّّه توصّل إلى تخصيص معاش له من قبل روما.

وفي سنة ١٦٥٧ انّخب جرجس السبعلي بطريركًا وقد كتب إلى الحاقلاي يطلب مساعدته لاستلام درع التثبيت بعدما أرسل مرتين راهبًا إلى روما لهذا الهدف ولم يفلح. وجاء في رسالته الصادرة عن دير قنوبين في ١٥ آذار ١٦٦٠:

"بركة سيّدنا يسوع المسيح على ولدنا العزيز إبراهيم الحاقلاي... إنّ رئيس الكهنة يعقوب (الحصريّ) قد أثنى الشناء الطيّب على محبّتك واجتهادك وتعلّقك بالطائفة المحبوبة... أرسلنا إليك من الكتابات حتّى تساعد من جهتك لتنال لنا التثبيت من قداسة سيّدنا الحبر الأعظم... فإنّ رجاءنا موضوع في الله تعالى وفي محبّتك"^٥.

^١ راجع في نهاية السيرة خلاصة عن أبرز ترجماته، وراجع التفاصيل حول كامل ترجماته ضمن فصل مستقلّ.

^٢ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا...، ص ٣٦٦، في أبو نمر، جوزف، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٦ - ١١٧.

^٣ غالب، الخوري بطرس، "نوابغ المدرسة المارونيّة في روما: إبراهيم الحاقليّ أو الحاقلاي"، المشرق، عدد ٢٨، سنة ١٩٣٠، ص ٣٤٨، في إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٧.

^٤ غالب، الخوري بطرس، "نوابغ المدرسة المارونيّة في روما..."، ص ٣٤٤، في إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١١٨.

^٥ غالب، الخوري بطرس، "نوابغ المدرسة المارونيّة في روما..."، ص ٣٤٦ - ٣٤٧، في إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، المرجع السابق.

- لعب دورًا مهمًا في الحوار والتبادل بين الشرق والغرب. وقد شغل وظيفتي التعليم والترجمة مما أدى إلى خلق مساحات وأدوات للتبادل بين البلدان، وهذا ما أدى إلى إنشاء حوار بين عدد من الشعوب والثقافات. فخلال إقامته في باريس تمكّن من إنشاء شبكة علاقات مهمة ساعدته على دعم المشايخ الخازنيين الموارنة في تحقيق أهدافهم السياسيّة. وبدعم من البابا، سعى إلى التوسّط لدى ملك فرنسا لويس الرابع عشر من أجل تعيين الشيخ أبو نوفل الخازن قنصلًا لفرنسا في بيروت، فأصبح أوّل قنصل يحصل على هذا اللقب. أمّا في روما فلقد سعى لدى الكرسي الرسوليّ إلى الحصول للشيخ أبي نوفل الخازن على رتبة فارس رومانيّ مع امتيازات أخرى.
- ساهم، كسائر التلامذة في المدرسة المارونيّة، بخلق وتعزيز فكرة الدولة اللبنانيّة التي أدت في آخر المطاف إلى بناء لبنان الحاليّ.

على الصعيد التجاري

عمل فخر الدين لتنشيط التجارة الخارجيّة وقد زادت المبادلات التجارية بين لبنان وتوسكانا بعد إقامته في إيطاليا (١٦١٣ - ١٦١٨). ففي سنة ١٦٣١، أرسل الحاقلاي مهمة مشتركة مع فرنسيسكو ليونشيني، مندوبه التوسكاني، بعد أن كانت المهمّات التجارية مقتصرّة على الغربيّين فقط. وقد أراد بذلك أن يمتحن قدرات طلاب المدرسة المارونيّة التجارية خاصّة بعد تراجع ثقته ببعض مندوبيه التوسكانيين، لذا قام بتكليف الحاقلاي بمهمّات تجارية. تقضي المهمة ببيع ٤٥ بالة من الحرير الأبيض البيرونيّ في إيطاليا وشراء أسهم بثمانها في مصرف "جبل الرحمة" في مدينة فلورنسا وكان المصرف مشهورًا بتقديمه القروض بفائدة منخفضة. وطلب الأمير منه أن يضع الأسهم باسمه وباسم أولاده الصغار الثلاثة، حسين وحسن وحيدر، خوفًا من أن يُجرّموا من الحكم والإرث بعد موته بسبب التنافس بينهم وبين أخويهم الكبيرين غير الشقيقين، علي ومنصور، إذ إنّه كان متزوّجًا من عدّة نساء. كما وكلفه أن يشتري له نحاسًا وأسلحة وذخائر.

قام الحاقلاي بالمهام التجارية بكلّ إخلاص مع أنّه واجه متاعب مع الرّبّان أثناء سفره من صيدا إلى ميناء ليفورنو بواسطة مركبين توسكانيين. وقد أساء هذا الأخير معاملته فشكاه إلى السلطات التوسكانيّة. وأثناء إقامته في ليفورنو، واجه مضايقات من ليونشيني الذي كان يسعى إلى التصرّف بمفرده سعيًا إلى مكاسب شخصيّة. فعامله الحاقلاي بحزم وحال دون أن يتفرّد في قرار البيع.

كما وحيكت مؤامرة ضده ففرضت الظروف عليه أن يضع حدًا لنشاطه: فقد تزامن وصول الحاقلاي إلى ميناء ليفورنو في رحلته الثانية مع عودة القنصل دا فراتسانو المستقيل من مهامه في صيدا. وقد أراد هذا الأخير أن ينصرف إلى التجارة مع الشرق ولكي يتخلّص من منافسه، ألا وهو الحاقلاي، دبر مؤامرة ضده، مع ليونشيني، لنزع وكالة الأمير التجارية منه. فقد عمد دا فراتسانو وليونشيني إلى تحريف نصّ الرسالة التي أرسلها الأمير فخر الدين إلى الغراندوق وحدّته الغراندوقة في أيلول ١٦٣٢ لكي ينزعا ثقة

العائلة الحاكمة منه. وكانت الغراندوقة قد كلّفت شاباً من أصل مغربيّ واسمه زَنُوي، ترجمة الرسالة إلى الإيطالية، فاتّفق معه دا فراتسانو وليونشيني على تشويه مضمونها في النصّ الإيطاليّ خلافاً للأصل العربيّ^١.

فوجئت الغراندوقة بمضون هذه الرسالة وأرسلتها مع النصّ العربيّ إلى الغراندوق في بيزا سائلة رأيه. فكلف أحد المترجمين بنقلها إلى الإيطالية. وجاءت الترجمة مخالفة لنصّ زَنُوي. فعاتت الغراندوقة وطلبت من زَنُوي إعادة ترجمتها. وجاءت الترجمة أسوأ من الأولى^٢. وقعت الغراندوقة في حيرة. ومّا زاد في حيرتها انقسام مساعديها وأمناء سرّها. فمنهم من اعتمد الترجمة الصحيحة، ومنهم من اعتمد صيغة الترجمة المحرّفة.

وبعد تردّد حول الموضوع سمحت الغراندوقة للحاقلاقي بمتابعة مهامه. فسافر إلى تونس لتحصيل ديون متبقّية. وكان قد كتب كتاباً من ليفورنو إلى الغراندوقة في فلورنسا يقدّم فيها خلاصة حساباته في الوكالة التجاريّة ويظهر استعداداه للسفر والمثول أمامها لشرح أي أمر مثير للشكّ^٣. وقد تبين لاحقاً من مسودة رسالة أعدت للأمير وهي مؤرّخة في أيار ١٦٣٣، أنّ الحاقلاقي عاد من تونس ببعض البضائع وسلّمها إلى وكيل الغراندوقة ليصرفها ويتاع بشمئها الأجواخ^٤.

أنجز الحاقلاقي مهمّته وعاد إلى توسكانا، فزادت نقمة دا فراتسانو وليونشيني لذا عزموا على زرع الشكّ والريبة في نفس الأمير. وفي آب ١٦٣٣، أرسل فخر الدين كتاباً إلى الغراندوقة^٥ يطلب فيها سحب المبالغ المتبقّية بيد الحاقلاقي وبهذا يكون الحاقلاقي قد وضع حدّاً لنشاطاته التجاريّة الحافلة^٦.

وبذلك كان الحاقلاقي من أوائل اللبنانيين الذين أوقفوا احتكار الوكلاء الأوروبيين في تجارة لبنان الخارجيّة. وقد تمكّن بفطنته وذكائه من فرض نفسه في الميدان التجاري ومنافسة التجار الإيطاليين.

^١ 404 - 403 pp. "Fakhr Ad-Din II Prince del Libano e la Corte di Toscana ...", Carali, P., في شدياق، الأب مارون، إبراهيم الحاقلاقي، في المئونة الرابعة لولادته...، ص ١٧٤. راجع نص هذه الرسالة في نهاية هذا الفصل (ص ١٣).

^٢ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا...، ص ٣٣٥، في شدياق، الأب مارون، إبراهيم الحاقلاقي، في المئونة الرابعة لولادته...، ص ١٧٥. راجع نص هذه الرسالة في نهاية هذا الفصل (ص ١٤). خاتمة الرسالة وردت حسب النص الإيطالي المذكور لقرألي في المجلة البطريركية ص ٤٠٥.

^٣ راجع نصّ هذه الرسالة في الملحق الوثائقي.

^٤ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا...، ص ٣٣٦، في أبو نمر، جوزف، إبراهيم الحاقلاقي، في المئونة الرابعة لولادته...، ص ١٧٧.

^٥ راجع نصّ هذه الرسالة في الملحق الوثائقي.

^٦ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا...، ص ٣٣٣ - ٣٣٥، في أبو نمر، جوزف، إبراهيم الحاقلاقي، في المئونة الرابعة لولادته...، ص ١٢٢ - ١٢٤.

أسلوبه

الجدليّة – الدفاعيّة

للحاقلائي أسلوب دفاعي رصين يركز على المراجع والبراهين، ويعتمد على الجدليّة والجدليّة – الدفاعيّة. فكانت ترجمته موضوع نقد ومحور سجالات عفيفة مع العديد من معاصريه. ولقد كان يوفّق بين إبراز صفات الخصم العلميّة والملحق التسفيهيّ الذي يتبعه بما، مثبتاً الاتهامات وصفات المتّهم. ففي رسائله الدفاعيّة التي كانت تُعتمد في تلك الحقبة والتي كانت معروفة بالرسالة – الردّ، خطّة محكمة للدفاع عن النفس. وقد كان أحياناً يستخدم أسلوباً تقديريّاً في الظاهر ولكن فيه تهكّم وسخرية وإشفاق.

في رسالة الحاقلائي الدفاعيّة الأولى إلى المعلّم فاليريان دي فلايني – أستاذ في كليّة اللاهوت في السوربون، في باريس، والكاهن القانوني في كنيسة رمس المتروبوليتيّة السامية، وأستاذ العلوم المقدّسة والآداب العبرانيّة في أكاديميّة باريس – ردّ على الافتراءات والخدع التي حاكها ضدّ طبعة سفر راعوت السريانيّة وترجمته اللاتينيّة: أبرز الحاقلائي سوء نيّة فلايني وعدم كفاءته طالباً منه الاهتمام بشؤونه الخاصّة اهتمامه بشؤون الآخرين. ولم يكتفِ بهذا القدر من الكلام بل استشهد بمقطع من أخلاقيّات القديس غريغوريوس الكبير في الكتاب ١١، الفصل ١٥: "إنّ الأغبياء، إذ يتفحصون أعمال الآخرين يرون أنّها كلّها تستوجب اللوم؛ وإذ ينسون عدم كفاءتهم ومرضهم، يحكمون على الآخرين عن قصد وتصميم بقدر ما يكون جهلهم أشدّ رسوخاً فيهم".^١ أمّا في رسالته الثانية فلقد قام الحاقلائي بدحض افتراءات أخرى وخذع لفلايني، علّه يكفّ عن فرض هواه وحبّله.

في رسالته الثالثة التي وجهها إلى جبرائيل الصهيوّي – ترجمان اللغتين السريانيّة والعربيّة لدى الملك ومعلّمها في المعهد الملكيّ في باريس – والتي هي ردّ على عريضة الاسترحام التي رفعها إلى مجلس الشيوخ الفرنسيّ، فقد دحض الحاقلائي الافتراءات العديدة ضدّه. قال "إلى جبرائيل الصهيوّي" إيّاه، لعلّه يكفّ أخيراً عن التبجح واقتناص مدائحه من لومه الآخرين، خاتماً صفحة العنوان بآية من أشعيا (٢١/٥): "ويل للذين هم حكماء في أعين أنفسهم، وعقلاء أمام وجوههم".

اللاهوت

يعتبر البعض أنّ الوجه اللاهوتيّ في شخصيّة الحاقلائي لم يعره الباحثون الاهتمام الكافي. فهو كان يتمتّع بالثقة الكاملة وقد اعتمد في أبحاثه اللاهوتيّة الدفع العلميّ المنطقيّ. ففي كتابه *أفتيشيوس البطريرك الإسكندريّ المُستردّ، والمُعاد إلى جماعته الشرقيين* مثلاً، أظهر الحاقلائي كفاءة عالية كونه قد بحث في موضوع لاهوتيّ جدليّ.

يقول أنطوان سعيد خاطر أنّ الحاقلائي، في كتابه هذا، قد دافع عن قضيّته بطريقة علميّة ومنهجية مدرسيّة مثاليّة. ويضيف أنّ الحاقلائي قد وجّه إلى مجمع نشر الإيمان رسالتين يشير فيهما إلى أهميّة الكتاب وإلى ضرورة طبعه، ممّا يدلّ على ثقة المؤلّف بأهميّة كتابه وبصحة مضمونه العقديّ^٢. وقد قام بمدحه المراقبون الكنسيّون اللاهوتيّون. يقول الرقيب الأوّل الأخ فرنسيسكو للقديس

^١ إبراهيم الحاقلائي الماروني... الرسالة الدفاعيّة الأولى... إلى فاليريان دي فلايني... باريس، ١٦٤٧، صفحة العنوان، في خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ٥٩.

^٢ خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ٦٤.

أغسطينوس ماسيدو: "بأمر الرؤساء، فحصت هذا الكتاب أفتيشيوس المسترّد لمؤلفه إبراهيم الحاقلاي وأحكم عليه بما يلي: إنّه صالح، واسع العلم، أنيق. [...] وهو، حيث الضرورة، يعلم، ويمتّع، ويربح. سديد البرهان، وثيق التقرير، يهاجم بشدّة، دقيق، ثابت، عنيف. إنّ له وزن سلطان غير مألوف، وتجعل منه حجّة خبرة في اللغات الغربية^١. إنشأؤه صراعيّ، لكنّه يتميّز ببديعه... [...] وعليه أعتبره جديراً جدّاً بأن يُحال إلى الطبع، وأن تستهلكه أيدي الجميع"^٢. وأمّا الرقيب الثاني لويس مازاشيوس فيقول: "[...] إضافة إلى عبقرية مؤلفه الفدّة، وسعة معرفته اللغات، والتاريخ، والعلوم، خبرة واضحة معجبة في الدفاع عن الإيمان المستقيم [...] ولهذا، فإنني أعتبر هذا المصنّف الممتاز جديراً بأن يُكتب بماء الذهب وأن يكون نوراً خالداً [...]"^٣.

يعتبر خاطر أن نشأة الحاقلاي هي فلسفيّة-لاهوتيّة في الأساس قبل أن تكون لغويّة أو كتابيّة. وهو لاهوتيّ جديّ-دفاعيّ رصين ومنطقيّ في جدله ومدرسيّ في نهجه. ويضيف إلى ذلك أنّه أمين للنهج العلميّ كونه يحدّد المسألة ويعرض رأي الخصم ويردّ بعدها بالتحليل والاستشهاد بالمراجع والمصادر معيّناً المؤلف، والكتاب، والفصل، والصفحة، والعدد الذي تنضوي تحته العبارة. فهو واحد من أبرز تلاميذ المدرسة المارونيّة الرومانيّة في العقود الأربعة الأولى من عمرها^٤.

أهمّ المصادر اللبنانيّة التي ذكرته

لم يُكتب عن إبراهيم الحاقلاي باللغة العربيّة سوى بضع دراسات في القرن العشرين. يذكر الأب اغناطيوس سعادة، من بين الذين كتبوا عنه، الخوري بطرس غالب الذي أجرى أبحاثاً حول "نوابغ المدرسة المارونيّة" في روما، فخصّص للحاقلاي، سنة ١٩٣٠، في مجلّة المشرق، ٢٦ صفحة في ثلاثة مسلسلات فعّد له فيها ١٧ عنواناً من كتاباته^٥. ويذكر الأب سعادة أيضاً الأب إبراهيم حرفوش الذي ينتمي إلى جمعيّة المرسلين اللبنانيين الموارنة. ويشير إلى أنّ هذا الأخير قد باشر، سنة ١٩٣٥، بنشر مسلسلاته عن تلامذة المدرسة المارونيّة في مجلّة المنارة. وقد نشر مخطوطة كتّبت القسم الأكبر منها الحاقلاي نفسه^٦. أما الخوري بولس قرألي، سنة ١٩٣٨، فلقد تناول علاقة الحاقلاي بالأمير فخر الدين المعني الثاني^٧.

ومن بين اللبنانيين الذين ذكروا الحاقلاي، الأب بولس مسعد. وقد ذكره بأربع صفحات في مجلّة المنارة. أشار الأب مسعد إلى أنّ كتّب الحاقلاي نُقلت، بعد وفاته إلى المكتبة الفاتيكانية وقد ذكرها السمعاني الكبير في فهرست الكتب الذي علّقه على المجلّد

^١ يعني اللغات الأوروبية.

^٢ الأخ فرنسيسكو للقدّيس أغسطينوس ماسيدو، مدرسة نشر الإيمان، ٣ تمّوز ١٦٥٩ في خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ٦٤.

^٣ مازاشيوس، لويس، روما، ١٩ كانون الثاني ١٦٦٠ في خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ٦٥.

^٤ خاطر، أنطوان سعيد، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ٧٦.

^٥ غالب، الخوري بطرس، "نوابغ المدرسة المارونيّة..." ص ١٨٦ - ١٩٣، ٢٥٠ - ٢٥٨، ٣٤٢ - ٣٥٠، في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣٠.

^٦ حرفوش، الأب إبراهيم، "تلامذة المدرسة المارونيّة القديمة"، [ال] منارة، ١٩٣٥، ص ٦٧٣، في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣٠.

^٧ قرألي، الخوري بولس، فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة توسكانا...، ص ٣١٥ - ٣٣٩، في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلاي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣٠.

الأول من المكتبة الشرقية وعددها ٦٤ كتاباً^١. ولا نعلم إذا كان يقصد بهذا العدد مؤلفاته الخاصّة أو مكتبته وقد ضبط له منها ٢١ كتاباً وعدداً من مجموعة رسائله إلى الأب جان مورين (وليس مدران كما جاء في المقال) التي جمعها ريشار سيمون بعنوان "آثار الكنائس الشرقية" والتي طبعت في باريس سنة ١٦٨٢^٢. وأمّا نجيب العقيقي، فلقد ذكره في موسوعته عن المستشرقين المؤلّفة من ثلاثة أجزاء وقد طبعت سنة ١٩٨٢. وقد ذكر له ١٥ أثرًا^٣ مُعنونًا^٤.

وذكر الأب اغناطيوس سعادة من بين الذين كتبوا عنه باللغة الفرنسيّة، الخوري بطرس روفایل والخوري (المطران) ناصر الجميّل. الأول كتب عنه، سنة ١٩٥٠، ٦ صفحات وعدّد له ٢٤ كتابًا ورسالة^٥. وأمّا الخوري (المطران) الجميّل فلقد طبع أطروحة الدكتوراه عن المدرسة المارونيّة، في فرنسا، في جامعة باريس الأولى، وذلك سنة ١٩٨٤. وتألّفت الأطروحة من مجلّدين (١١٦٨ صفحة). وقد أصدر للحاقلائي جدولاً كاملاً بمؤلفاته التي بلغت ٣١ كتابًا، منها ١٥ تأليفاً، ١٣ ترجمة، ٤ نسخًا، إضافة إلى ٢٢ رسالة وتقريراً. كما وضبط تواريخ كتابتها ومكان وجودها وذكر المنشور منها والمخطوط ومحتوى المؤلّفات^٥.

^١ مسعد، الأب بولس "إبراهيم الحاقلي"، [ال] منارة، ١٩٥٠، ص ١١٤ - ١١٧، في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣٠.

^٢ مسعد، الأب بولس "إبراهيم الحاقلي"...، ص ١١٥، في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣٠.

^٣ العقيقي، نجيب، المستشرقون، المجلّد ٣، الطبعة الرابعة الموسّعة، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٢٢ - ٣٢٣، في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣٠.

^٤ Raphaël, P. Pierre, *le Rôle du Collège Maronite Romain dans l'Orientalisme aux XVIIème et XVIIIème siècles*, Beyrouth, 1950, pp. 89 - 92.

في سعادة، الأب اغناطيوس، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣١.

^٥ Gemayel, Pr. (l'évêque) Nasser, *Les Echanges Culturels...*, pp. 299 - 309; *Le Livre et le Liban*, Unesco, Paris, 1982, pp. 258 - 262, *La Récolte*, Beyrouth, 2004, pp. 36 - 41; Michaud, *Biographie Universelle ancienne et moderne*, T. 12, pp. 215 - 216 (s.d.) في سعادة، الأب

اغناطيوس، إبراهيم الحاقلائي، في المئويّة الرابعة لولادته...، ص ١٣١.